الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

وظائف الخطاب التقديمي وأبعاده الدلالية في ديوان "الكتابة بالنار" لعثمان لوصيف دراسة في المصاحب النصي

The Functions of the Introductory Discourse and its Semantic Dimensions in Loucif Othman's Poems Collection " Writing with Fire" A Study in the Paratext

Dr. Youcef LAIB
Echahid Hamma Lakhdar University of Eloued -Algeria-

د.يوسف العايب
جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي -الجزائر-
youcef-laib@univ-eloued.dz

ملخص

لم يعد النص في الأبحاث النقدية و الأدبية الحديثة و المعاصرة بناء لا شكل له، بقدر ما أصبح يمتلك مجموعة من المداخل و المخارج التي تتيح العبور إليه واجتيازه ومغادرته وتنبيه القارئ إليه وعليه.ويأتي من ضمن ما ذكرنا المقدمة ،التي أولتها الدراسات النقدية الحديثة -غربية وعربية- عناية فائقة، لأنها تعد المدخل الرئيسي والطبيعي إلى أغوار النص, فضلا عن كونها" عنصرا أساسيا من عناصر خطاب العتبات النصية ومكونا هاما من مكوناته ،و لاعتبارات أخرى منها ما يرتبط بشكلها, ومنها ما يرتبط بوظيفتها وبنائها .وقدحظيت باهتمام الكثير من النقاد و الدارسين في العصر الحديث وعيا منهم بوظيفة هذا الخطاب في إثارة اهتمام المتلقي و توجيه قراءته.

وتأتي هذه الدراسة الموسومة بـ" وظائف الخطاب التقديمي و أبعاده الدلالية في ديوان " الكتابة بالنار " للشاعر عثمان لوصيف ترجمة لهذا الاهتمام المتزايد بهذا الخطاب ، وبلورة تطبيقية له بالوقوف عمليا على دلالاته و دوره في تحسين آليات قراءة العمل الأدبي وفهمه و تذوقه ، و كذا الوظائف التي ينهض بها في عملية التلقي مستفيدة من الأبحاث النقدية الغربية و العربية الحديثة و المعاصرة في حقل الدراسات التناصية، و في مجال المصاحب النصي بصفة خاصة.

الكلمات الدالة :الخطاب، النص، التقديم، المصاحب النصي.

Abstract

The modern and contemporary literary and critical researches do not consider the text as an amorphous structure anymore. The text is rather a unit containing a set of entrances and exits which allow us to pass through it, to penetrate it and to exit it as well as the possibility of alerting the reader about it. Among the foregoing, comes the section of "Introduction" which is given a careful attention by the Arab and western modern critical studies because it is considered as the main and the natural entrance into the depth of the text. It is also seen as one of the essential elements of the textual thresholds discourse and one of its main components besides many other reasons related to form, function and structure. The text is given great importance by many critics and scholars of the modern age starting from their

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

awareness about the function of this discourse in arousing and attracting the attention of the recipient and directing his/her reading. The present study comes as a reflexion to this growing interest in this discourse. This study is a practical clarification through a real practice in the semantics of this discourse as well as its role in improving the mechanisms of the reading, the understanding and the tasting of the literary work besides the functions it arouses in the receiving process benefiting from the Arab and western either modern or contemporary critical researches in intertextuality studies mainly in the field of paratext.

KeyWords: Discourse, Text, Introduction, Paratext.

مقدمة

خلال العقد السابع من القرن الماضي أخذت طائفة من النقاد و الدارسين في الاشتغال على المؤثرات الخارجية للممارسة الإبداعية عموما، و في الانكباب على بعض مواقع النص الأدبي ذات المزية في شأن إخبار القارئ وإبرام ميثاق القراءة معه، وظهرت _ كنتيجة لتلك الأبحاث _ العناية بمكونات الخطاب وعناصره كالتقديمات و العنونة و الإسناد (أسماء المؤلفين) وكلمات الإهداء والشكر والتعليقات والحواشي والفهارس والخاتمات وصور الأغلفة... وغيرها. " وذلك انطلاقا من قناعة مفادها أن ليس النص امتدادا لا شكل له، بقدر ما يمتلك مجموعة من المداخل والمخارج والمنافذ التي تتيح العبور إليه واجتيازه ومغادرته وتنبه القارئ إليه وعليه[1].

يأتي من ضمن ذكرنا المقدمة التي تعدّ مكونا أساسيا من مكونات خطاب العتبات النصية لاعتبارات منها ما يرتبط بشكلها ،ومنها ما يرتبط ببنائها. و إذا كان النص قد حظي باهتمام الباحثين فإن خطاب المقدمات وبرغم ما أحيط به من دارسات في العصر الحديث، واهتمام متزايد من قبل النقاد و الباحثين وعيا منهم بوظيفته في إثارة اهتمام المتلقي و توجيه قراءته، إلا أنه لا يزال في حاجة إلى مزيد من الدرس و إمعان النظر لما يمثله هذا الخطاب من أهمية في علاقته بالنص و فعل القراءة . ذلك أن التعامل غير الآبه بهذا المحفل النصي سينعكس سلبا على طبيعة تلقيه[2]. ومن هنا تبرز أهمية قراءة هذا النوع من الخطابات ومحاورته و مساءلته مساءلة نقدية واعية .

ذلك أن المقدّمة و لئن انفصلت عن النص، و استقلت بذاتها و بنت قوانينها و أسئلتها التي لا تخلو من خصوصية ، فهي تبقي على كثير من الخيوط الخفية التي تصلها بالنص و تكشف عن جدلية الانفصال و الاتصال التي تشي بفعل المعاضدة الذي تنهض به المقدمة [3]

كما أنّها – وبحكم موقعها غالبا وليس بالضرورة –عقب العنوان مباشرة كانت تنتج خطابا واصفا لمتن الكتاب، تبين فيه طبيعة موضوعه وتحدد مجاله المعرفي وتكشف عن دواعي الكاتب الذاتية وكذا الموضوعية لتأليفه. فضلا عن الإشارة أحياناً إلى المنطلقات النظرية الموجهة لتصوراته وأحكامه وإلى الضوابط المنهجية التي تتحكم في طرق عرضها وتحليلها والدفاع عنها. كما تتضمن خطاطة مختصرة لأبرز مواد الكتاب وأهم أبوابه وفصوله قصد وضع القارئ في المدار المعرفي للنص، وتهيئته نفسيا وذهنيا لكي يجيد فهمه ويحسن تلقيه ويتقبل ما ورد عليه من مواده.

ثم إن إيراد هذه العناصر متسلسلة ومرتبة ترتيبا منطقيا بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاّحق، ويحيل المتأخر منها إلى المتقدم يظل محكومًا بتمثل الكاتب لمتلق معين قد يكون واقعيا ومحددًا أو مفترضا ومتخيلا يسعى إلى حثه بشتى الطرق لاقتناء الكتاب[4].

وبالمقارنة بين مقدمات المؤلفات القديمة والحديثة نلاحظ "أن المقدمة قديما لا تثير إشكالات كبيرة. لكونها كانت توضع في السطور الأولى للنص وأحيانا في سطوره الأخيرة. كما أن زمن كتابتها يمثل زمن كتابة النص نفسه ونشره بين الناس. وشكلها هو شكل النص نفسه. ويتحدد مرسلها في الكاتب الحقيقي أو المفترض ومستقبلها هو مستقبل النص" [5].

أما في عصرنا الحاليوفي النقد المعاصر فيمكن الحديث عن أنواع من المقدمات التي يتم بها الاستفتاح :[6]فهناك المقدمة الذاتية و المقدمة الغيرية و المقدمة المشتركة .

فالمقدمة الذاتية هي التي يكتبها الكاتب أو المبدع بنفسه، حيث يقدّم من خلالها

" رؤيته و بعض الإضاءات التي تنير سبيل المتلقي فيحقق بذلك وظيفتين متلازمتين : وظيفة إشهارية ووظيفة إشعاعية لبعض الجوانب التي لا يعرفها سوى الكاتب " [7] .

والمقدمة الغيرية هي التي يكتبها الآخر و غالبا ما يكون ناقدا أو باحثا أو دارسا .

أما المقدمة المشتركة فهي التي يشترك فيها الكاتب مع غيره . و غالبا ما يكون مجالها جنس الرواية .

تلك الأنواع الثلاثة من المقدمة التي تضطلع بفعل توجيه المتلقي و وسم المعاني و تأويلها تفضي بدورها إلى ثلاثة أنواع من المقدمات تعضد ما سبق : [8]

- **مقدمة تقريظية** : تكون إشهارية و تجارية تتوخى توجيه القارئ مع إعطائه حكما مسبقا على قراءته بحيث يحول هذا النوع من المقدمات دفّة المعنى الذي قد يؤوّله المتلقي إلى الجهة التي يريدها المبدع. و هو النوع الذي يكتبه في غالب الأحيان الناشر[9].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ـ **مقدمة نقدية** :تدخل في حوار مع المبدع .و تأتي كخطاب وصفي تقويمي موضوعي و كقراءة تحليلية تركيبية تمس الجوانب الدلالية و الشكلية و الفنية و المقصدية[10].

ـ **مقدمة موازية للنص** : تكون مستقلة ومباشرة و توجه انتباهنا للتيمات و الأسئلة المطروحة، و هو نوع من أنواع المقدمات الذي يمتلك الأدوات التي تقترب بشكل مباشر من المتلقي ،ذلك أن المقدمة التي يكتبها ناقد ما لا تبحث عن غير النص [11]

و المقدمة ممثلة في أنواعها التي أتينا على ذكرها قد تكون أصلية ملتصقة بالكتاب منذ الطبعة الأولى، في حين قد تعتبر لاحقة حين تلحق به في طبعة ثانية أو ثالثة أو رابعة ...و قد تكون متأخرة إذا لحقت به في الطبعة الأخيرة أو في الطبعة النهائية [12]

ومن بين الوظائف التي تختص بها المقدمة على اختلاف صيغها وأنواعها نذكر :

1ـ **ضمان قراءة جيدة للنص**: التي لا تتأتى إلا من خلال عمليتين متكاملتين:

أ- الحصول على قراءة .

ب – ضمان أن تكون تلك القراءة جيدة "[13].

و المقدّم سواء أكان صاحب العمل ذاته أو كاتب آخر هو المعني الأول وربما الوحيد بتأمين تلك القراءة الجيدة لأن النص الذي لا يقرأ يتهدد بألا يصدر مرة أخرى .

2ـ **التنبيه والإخبار**: ويأخذ أشكالا عديدة نذكر منها على سبيل المثال :

- إخبار القارئ بطبيعة الكتاب وظروف تحريره.

- البوح بالقصد حين يؤول الكاتب نصه فيعلن عن نيته وقصده.

- تنظيم القراءة وترتيبها وذلك بتفسير فهرس موضوعات الكتاب وتفصيله وترتيب المواد التي يتناولها ،حتى تساعد القارئ المستعجل في التوجه إلى ما يبحث عنه ويرغب في الاطلاع عليه ويتخطى ما لا يرغب فيه[14].

3ـ **اختيار القارئ** : إذ هناك بعض المقدمات التي تعيّن قراءها الذين ترغب في وصول النص إليهم. وفي الوقت نفسه تسعى إلى تجنب نوع من القراء لا ترغب في وصوله إليهم إما بتعبير صريح أو ضمني. فكل كاتب يحمل فكرة محددة عن نوعية القراء الذين يتوجه إليهم بكتابه [15].

وفضلا عن ذلك فإن التقديم في العمل الأدبي يعطي لصاحبه شبه تأمين يقي صاحبه بعض الملاحظات التي قد تحسب عليه من قبل المتلقين والنقاد، وهو عنصر هام من عناصر خطاب العتبات النصية، ويعود ذلك لاعتبارات منها ما يرتبط بشكله، ومنها ما يرتبط بوظيفته وبنائه. فإن كان العنوان جنسا له خصوصياته ومكوناته ووظائفه فكذلك المقدمة .وهو ما يذهب إليه جيرار جنيت إذ يقول "إن التقديم كالعنوان هو جنس"[16]. ومن هنا تكتسي المقدّمة أهميتها كعنصر هام من عناصر خطاب العتبات الأخرى كالعنوان والإهداء والغلاف ... الخ.

و بالعودة إلى دواوين الشاعر عثمان لوصيف،فإن أوّل ما يلفت النظر إليها هوخلوّها من عتبات التقديم . فمن خلال تصفحّنا لدووايين الشاعر على كثرتها لم نعثر فيها على عنصر الخطاب التقديمي سوى في ديوانين و هما ديوان "براءة" و ديوان "الكتابة بالنار" – موضوع الدراسة – واللذين عثرنا فيهما على مقدمتين غيريّتين، حيث قدّم ديوان " براءة" عبد الكريم شريف من سوريا ، في حين قدّم نبيل نوفل ديـوان"الكتابة بالنار " ، و لم يقدّم الشاعر أياّ من دووانيه التي يربو عددها عن السبعة عشرة ديوان شعر.

قد يكون الأمر مقصودا، فقد دأب بعض الأدباء و فضلوا أن يعهدوا بتقديم قصائدهم إلى غيرهم من القراء ، ويسندوا لهم مهمة التعريف بها وبخاصة أعمالهم الشعرية منطلقين في هذا المجال من قناعة مؤداها أن الشاعر لا يستحسن أن يكون عارضا ومعروضا في نفس الوقت، وأن الشعر بصفة خاصة لا يستعذب سوى هذا النوع من المقدمات التي " تعنى بالحديث عن أسلوب الشاعر و لغته الشعرية وجوانبه التخيلية وأغراض الديوان و مدرسته الفنية ، وتعطي للنص أبعادا دلالية و قيمة تأويلية و سبر ما كمن في أغوار صوره الإبداعية التخيلية الجميلة . وهذا لا يتأتى إلا لدارس متمكن عالم بأسرار الشعر و مغالقه"[17].

وهو ما نقف عليه في مقدمة ديوان " الكتابة بالنار " التي وضعها نبيل نوفل التي انصرفت في أسطرها الأولى إلى التمهيد لتلقي هذا العمل وتهيئة وصفية تداولية تلائم انتظارات التأليف ولا تتعارض معها [18]. و قد ارتبطت هذه المقدمة غير الذاتية التي احتلت الصفحات من: ص 9 إلى ص14 باللحظة التي صدر فيها الديوان في طبعته الأولى و انفتح فيها على القراء في صيغة كتاب يضمّ بين دفتيه قصائد الشاعر. " و إذا كانت الوظيفة التمهيدية تمارس على القراء بغرض خلق وضعية تداولية ملائمة ،فإن الخطاب المقدماتي عموما لن يجد مناسبة لمصاحبة النص أفضل من مناسبة صدوره في كتاب مطبوع "[19].

و على هذا الأساس و جدنا هذه المقدمة كعتبة من عتبات النص و كمكوّن بنائي من مكوناته تكتب بعد تحرير النص، و تأتي مصاحبة له في رحلة تلقيه و تأويله . و هي بناء على ذلك تأخذ صفة التقديم الأصلي . و في ضوء ذلك كله تسعى إلى تهيئة ظروف استقبال النص و تأمين تداوليته، لأن " النص لا يصبح كتابا إلا إذا ضاعف حول ذاته مجموعة من العتبات النصية بها يقترح نفسه على مجتمع القراء قاصدا من وراء ذلك تأمين تداولية ملائمة " [20]

و قد سار مقدّم هذا العمل في هذا الاتجاه فجاء تقديمه للديوان تمهيدا للعمل الابداعي و محطة أساسية لإبراز طقوس الكتابة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لدى الشاعر عثمان لوصيف في علاقتها بالمتلقي ،و قد اجتهد في "استخراج نموذج إنتاج النوع الأدبي المتكلم عنه وكذا نموذج قراءته "[21] ، و بنا تقديمه على أسئلة العلة و الكيف و الهدف فجاء مجسّدا لنمط الوعي لديه بطبيعة الإنجاز الإبداعي الشعري لدى عثمان لوصيف ، و مجيبا ضمنيا عن " جوهر أسئلة المرحلة على صعيد كل من الكتابة و التلقي ، و عن فحوى الخطاب التقديمي كممارسة أدبية نادرة التداول في ثقافتنا العربية " [22]

استهل المقدم خطابه التقديمي بالحديث عمّا يمكن أن يضفيه الشعر على حياة الناس و المجتمعات من يقظة وتفتح وحيوية، فضلا عن إذكائه لشعلة الوعي الإنساني الذي يعدّ الشاعر أحد حملتها معتبرا أن ديوان " الكتابة بالنار " هو وثيقة ميلاد أحد حملة تلك الشعلة و إعلان هوية الشاعر عثمان لوصيف في آن واحد"[23].

و التقديم –وفق هذا المنظور– يسعى إلى القيام بعمليات جدلية على عناصر النص تأتي مؤثرة و متأثرة " لأن البداية الجيدة المحكمة تجذب المتلقي و تقذف به إلى عالم النص و تعطيه قدرا من المعرفة قبل الدخول إليه "[24].

ثم يتوجه المقدم بعد ذلك إلى إبراز سمات قصائد الديوان و من خلال ذلك يرى أن سمة "الأصالة " طاغية في الديوان و تقف خلف كل السمات الأخرى التي نجد لها حضورا فيه[25]. ويعبّر عنها بقوله " الأصالة استخدام الشاعر للغة استخداما يستفرغ طاقاتها الهائلة عن طريق الهدم و إعادة البناء : هدم القديم من الدلالات ثم تجنيد اللغة في سبيل بناء أكوان سحرية تمتص حواس الإنسان و وعيه الكامل ، و تغريه بالدخول في محراب طقوسها و أسرارها " [26]

كما أشار المقدّم إلى تأرجح الشاعر في نظمه للشعر بين العمودي منه و الحرّ، و كان في تأرجحه بين النوعين حريصا على الإيقاع مجدّدا في الصور مبتعدا عن النثرية و المباشرة . ليعرّج بعد ذلك على أهم الظواهر الأخرى التي تسود بين سطور قصائد الديوان و التي لا تخرج في معظمها عن أهم سمات الأصالة فيه ، وكانت من أهمّ عناصر بناء التجربة الشعرية لديه . و قد تمثّلت في : القلق– العنف (و نعني به تجسيد المعاني التي تثير في نفس المتلقي أعنف المشاعر الإنسانية)–الرمز –الالتصاق بالحياة .

و هي ظواهر فنية و معنوية في الآن ذاته طبعت قصائد هذا الديوان و أغنت تجربة الشاعر الفنية.

و هذا الخطاب الذي نتلمس خيوطه في ثنايا هذا العمل الإبداعي، "و إن بدا في ظاهره يترك حرية الإقبال على الكتاب أو الإعراض عنه، فإنه في باطنه دعوة حارة إلى ممارسة فعل القراءة بوصفه يحيي النص فيحيي الذات ، فكأن القارئ شرط وجود بالنسبة للنص[27]. ويؤكد ما ذهبنا إليه قول المقدم في نهاية خطابه التقديمي : " و بعد ، فأرجو أن يكون القارئ قد شاركني في الاهتمام بقصائد هذا الديوان و أشغف قلبه رغبة في الدخول إلى عالم الشاعر" [28]

ذلك أن من وظائف التقديم الترويج للعمل و التوجيه إلى مكامن جدواه و طريقة تلقيه عن طريق فعل خطابي لا يبرز ما هو كائن فقط ، بل ما يجب أن يُقتنع به مما هو كائن بهدف إقناع المتلقي و التأثير فيه .. و قد أشار إلى ذلك جيرار جينيت، حين رأى بأن الخطاب المقدماتي لا يتوجّه إلى الجمهور الذي يشكّل قاعدة عريضة من قراء الكتاب بل إلى المتلقي ، لأنه يخاطب أيضا أشخاصا لا يقرؤون و لكنهم يطّلعون عن بعض عناصر الكتاب كالاسم و العنوان من خلال المكتبات أو المقالات النقدية أو الصحفية التي تحيط بالكتاب،فيردّدونها مشاركين بذلك في نشرها و ترويجها بينما يبقى المتلقي الحقيقي للمقدمة و بالتالي للنص هو القارئ الذي يشارك تارة علانية عن طريق الضمير " أنت " و تارة مدعوّا ضمنيا[29].

هذا وقد بدا لنا و نحن نقارب هذا الخطاب التقديمي أنه يكتسب طابع التقريظ ،لأن ما نستشفّه من كلام المقدم هو تفاديه الخوض في مسائل نقدية بحتة قد يصل من خلالها إلى خلاصات قد لا ترضي صاحب الديوان ، أو تجعل من صورة هذا العمل الإبداعي مهتزّة منذ البداية .

و ما يجعل كفّة التقريظ تغلب على كفّة النقد الموضوعي هو ما نلمسه في كثير من مواضع هذا الخطاب التقديمي و بين ثناياه من إشارات دالة على ما نذهب إليه من مثل استخدامه لصيغ التفضيل : أكثر، أبرع ...و من مثل تقمصّه لشخصية المتلقي و انفعالاته إزاء العمل بصفة عامة في مثل قوله :" و لعلّ القارئ يندهش لاستخدامه لبعض تلك الرموز استخداما خاصا، كإشاراته المتعددة إلى المرأة على نحو أو آخر، حتى في المواقف التي تبرز فيها قيمة وطنية أونضالية "[30].

و تلك خصوصية من خصوصيات التقديم الغيري بصفة عامة، ذلك أن هذا النوع من التقديم يأتي في الغالب "عبارة عن رسالة محمّلة بمجموعة من الإشارات أو الإيحاءات الصغيرة التي يثيرها المقدّم بصدد الأثر الأدبي دون أن يصل التقديم إلى تخوم النقد الجارح أوتخييب أفق انتظار المقّدم له ما عدا بعض الإشارات أو الوخزات الصغيرة التي تمسّ جانبا ما من جوانب العمل الأدبي ، على الخصوص إذا كانت العلاقة الشخصية وطيدة بين الطرفين و لا تسمح بغير الإطراء "[31]. فيقوم عندئذ صاحبه بدور تحفيزي للقارئ من خلال تقديم شهادته حول المؤلِّف و المؤلَّف في آن واحد، و اللذان عادة ما يربطهما أكثر من قاسم مشترك كالاهتمام الثقافي أو الحساسية الفنية، كما قد يرتبطان بعلاقات حميمية خاصة ، وهو ما من شأنه أن يجعل من الخطاب التقديمي الغيري ميطا خطاب تنجزه يد ثانية هي يد المقدّم تصافح اليد الأولى و هي يد المقدّم لها و تشدّ من أزرها[32].

وهو ما ركّز عليه صاحب التقديم من خلال محاولته استدراج القارئ و استمالته نحو عوالم النص و القراءة منطلقا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من بعض المعطيات التي تخصّ المبدع و عمله الإبداعي، التي يعرضها المقدّم في شكل يطغى عليه تعداد محاسن هذا العمل الأدبي، " يضاف إلى ذلك أن الشاعر يؤمن في كل محاولاته بقيمة الإبداع الشعري و فاعليتــه باعتبـاره الروح التي تدبّ في الصـور الشعرية، فتحوّلهـا من هيئة التمـاثيل الصمّاء إلى هيئة الكائنات الحيّة و لعلّه في ذلك لا يساير بعض الاتجاهات الشعرية المعاصرة التي أسقطت من حسابها إلى حدّ بعيد عامل الإيقاع كعنصر أصيل من عناصر الشعر "[33]، وعثمان لوصيف يستخدم الرمز بانفعال عميق الجذور في نفسه بما يختاره من الإشارات الرمزية ، أعني أنه لا يتلفظ رموزه من الهواء بصورة عفوية ، بل يستخرجها من باطن نفسه بوعي صادق " [34]

و على أية حال فقد سعت مقدمة الدكتور نوفل إلى الاضطلاع بمهمة التزكية النصية ، و هو ما من شانه أن يمنح هذا العمل قوّة تداولية في فضاء المؤسسة الأدبية ،و هذه الوظيفة في اعتقادنا تنطلق من حافز أخلاقي و عاطفي يجعل المقدّم ينوب عن المؤلف في الإعلان عمّا يتحرّج هذا الأخير في قوله من تقريظ ظاهر للعمل ولمؤلفه على حدّ سواء[35].

كما حاولت هذه المقدمة وعلى غرار كلّ المقدمات غيرية كانت أم ذاتية أن تنهض بوظائفها ،وتضطلع بالمهام التي عادة ما توكل للمقدمات من خلال سعيها إلى أن تكون قراءتنا لهذا العمل جيّدة . يؤكد ذلك ما وقفنا عليه فيها من إبراز لدور الشعر في حياة المجتمع و الإنسانية ، ومن وظيفة للشاعر في المجتمع و رسالة يسعى إلى تأديتها فيه، ومن إشادة خاصة بنبوغ الشاعر عثمان لوصيف و مقدرته اللغوية و الفنية التي تتأتى من جودة صياغته وجمال إيقاعه و شعرية صوره و خصوصية الرمز لديه، فضلا عن أصالته التي تكشف عن تجربة شعرية فذّة ...و غيرها من العناصر التي أشار إليه التقديم كي يؤمّن القراءة النموذجية لهذا الديوان، وكي تكون انعكاسا لرؤية المقدّم المعجبة بشعر عثمان لوصيف، مستفيدا من مسألة لماذا؟ التي تسعى المقدمات للإجابة عنها . وهو ما من شأنه أن يعلي من قيمة النص و يبرز أهميته ضمانا لمقروئيته من ناحية و ضمانا لاستمرارية صدوره في طبعات لاحقة من ناحية ثانية .

هذا و برغم ذلك كله وإذا كان المقدم قد سعى من خلال ما تقدّم إلى محاولة ضمان و تأمين القراءة الجيدة للنص، فإن القراءة التي يعرضها ليست سوى وجهة نظر خاصة لا تستطيع أن تلزم القارئ الذي يتعامل أساسا مع النص لا مع ما أراد المقدّم أن يقوله، "لأن القراءة قراءات ، بل لا شيء – في تقديرنا – يمكن أن يؤسس للاختلاف و التعدّد مثل القراءة التي تبني هوية متجدّدة للنص و تقدّم نفسها بوصفها صيرورة أو مسارا ضمن مسارات أخرى يمكن أن يشي بها النص، نص تتنوع دلالاته و تتعدد أبعاده بتعدّد قرائه و اختلاف زوايا النظر"[36].

ثم إن القارئ الذي تتوجّه إليه المقدمة – في نظرنا – ليس قارئا واحدا " و إنما هو كائن يختلف باختلاف الحقب التاريخية و المرجعيات الفكرية و الميولات الشخصية ، وكلما كانت القراءة فعلا لا يدّعي صاحبه امتلاك الحقيقة كانت أقرب إلى المباحث الحديثة التي ترى المعنى متعددا وتعمل على تفكيك العلامة ووصل القول بالقول ، و الوقوف على الخفيّ في دواخل النصّ [37]

هذا و لم تعّين هذه المقدمة قارئها على غرار ما عهدناه في كثير من الأعمال الإبداعية و النقدية ، كما أنها لم تسع إلى تجنب صنف من القراء لا تود وصول النص إليهم ، في حين استطاعت أن تلتفت إلى الديوان و مضامين قصائده وتعرف بها ، وبالتالي قيامها بوظيفتها الإخبارية و إن لم يؤد فيها الإخبار على أكمل وجه ،فقد جاءت تلميحا ، إذ لم يستطع المتلقي أن يقف فيها على تفصيلات دقيقة و شاملة لما ورد في الديوان . كما بدت هذه المقدمة مستسلمة لما يقدم ويعرض على القارئ ، ولم تدخل في حوار مع النص المقدم وتحلله لفائدتها الخاصة ، وتوخّت فقط توجيه القارئ و إعطائه حكما مسبقا على القراءة .

هكذا يبدو التقديم أشبه بالمفتاح الذي يمكّن القارئ من فتح أبواب النصوص و تخطي عتباتها ،و محاولة لخلق شيء من الانسجام بين المبدع و المتلقي حين يوجّه هذا الأخير ويقيم جسرا يلتقي على متنه الطرفان (المبدع والمتلقي).

صفوة القول وبناء على ما سبق فإن التقديم غير الذاتي في ديوان " الكتابة بالنار لعثمان لوصيف " قد استطاع أن يفصح عن خصوصية و قضايا نمط من الكتابة الإبداعية التي تنبئ عن أصالة تجربة صاحب الديوان، وتكشف عن رؤيته للكون و الحياة و الإبداع، كما استطاع هذا الخطاب التقديمي تشكيل خطاب مواز إقناعي سعى إلى القيام بوظيفة التزكية النصية للعمل الإبداعي تأمينا و ضمانا لمقروئية جيدة وملائمة له من ناحية ،وفسحًا لطريق تداوله و انتشاره في فضاء المؤسسة الأدبية من ناحية أخرى ،كما سعى إلى تبيين منهج الشاعر وتصوره وشرح عمله الإبداعي وتفسيره من خلال الكشف عن نموذج قراءة قصائد هذا الديوان . وهو الأمر الذي خوّل له دور الوشاية والبوح من خلال التعبير عن الموضوعات والمضامين بلغة مختزلة تعتمد التكثيف و الإيحاء ، وتراهن على استدراج المتلقي إلى تصفح متونها إشباعا لفضوله ونهمه .

الهوامش

1- يوسف الإدريسي،عتبات النص(بحث في التراث العربي و الخطاب النقدي المعاصر)، منشورات مقاربات، آسفي، المملكة المغربية، ط1، 2008،ص7.

2- عبد المالك أشهبون ، عتبات الكتابة في الرواية العربية ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، ط1، 2009، ص20.

3- رضا بن حميد ، عتبات النص في حدّث أ بو هريرة قال ...- المقدمة والتمهيد - ، مجلة الخطاب ،ع19، منشورات مخبر تحليل الخطاب ،جامعة تيزي وزو ، جانفي 2015، ص9.

4- يوسف الإدريسي، عتبات النص(بحث في التراث العربي و الخطاب النقدي المعاصر) ، ص 37.

5- نفسه ، ص 58.

6- جميل حمداوي ، شعرية النص الموازي ،منشورات المعارف، الرباط ، المغرب ، ط1، 2014، ص199.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7- شعيب حليفي ، هوية العلامات في العتبات و بناء التأويل ،الشركة الجزائرية السورية للنشر و التوزيع و دور نشر أخرى،ط1،2013،ص64.

8- عبد الفتاح كليطو ، الأدب و الغرابة ، دار الطليعة ، بيروت ،ط1، 1982، ص6.

9- شعيب حليفي هوية العلامات في العتبات و بناء التأويل ،ص64.

10- جميل حمداوي ، شعرية النص الموازي ، ص201.

11- شعيب حليفي هوية العلامات في العتبات و بناء التأويل ،ص65.

12- جميل حمداوي ، شعرية النص الموازي ، ص99.

13- المرجع نفسه ، ص 69.

14- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

15- المرجع نفسه، ص 61.

16- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ع31، مج25، يناير – مارس 1997،ص 105.

17- سعيد الأيوبي ، عتبات النص في ديوان "آدم الذي..."للشاعرة حبيبة الصوفي، ص55.

18- نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، ط1، 2007،ص 64.

19- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

20- نفسه ، ص130.

21- Henri Mitterrand,Le discours du roman,op.cit,p25

22- عبد المالك أشهبون ،عتبات الكتابة في الرواية العربية، ص128.

23- عثمان لوصيف ، دبوان " الكتابة بالنار، المؤسسة الوطنية للكتاب ، دط،1982، ص10.

24- نفسه ، ص66

25- نفسه ،ص10

26- نفسه ، ص11

27- رضا بن حميد ، عتبات النص في " حدّث أبو هريرة قال ، مجلة الخطاب ، ع19، جانفي 2015، ص12.

28- الديوان ، ص14

29- سعدية الشاذلي ،مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي ، سلسلة الأطروحات والرسائل ،جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب ، مطبعة دار المعارف ، الرباط، ص57.

30- الديوان ، ص13

31- عبد المالك أشهبون ،عتبات الكتابة في الرواية العربية ، ص132

32- نفسه ، ص127

33- الديوان ، ص11

34- نفسه ، ص13

35- نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص77.

36- رضا بن حميد ،عتبات النص في حدّث أبو هريرة قال ، ص12.

37- نفسه ، ص12.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com